# الخبر ووظائفه
## في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور

الباحثـــة:
نجلاء عيدان عبد الكريم

**المقدمة:**

يعنى هذا البحث بوظائف الخبر في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور. حيث يجمع المؤلف الأخبار التي تشترك في أنها تدور حول النساء، وقدراتهن اللغوية والبلاغية في صوغ الكلام، وفي التفكير والتدبير والمجادلة أو الفعل. وتكشف أخبار النساء الأحوال الاجتماعية والثقافية للمرأة والصورة النمطية لها بوصفها كائنا اقل شأنا في الكلام والفعل. وقد قسمت البحث إلى اربعة مباحث ومدخل. تحدثت في المدخل عن الخبر وتعريفه ومكانته في التراث السردي العربي. وخصصت المبحث الأول للوظيفة السياسية والثاني للتعليمية وهما تتصلان بالخبر الكلامي وخصصت المبحث الثالث للوظيفة الإمتاعية وتتصل بالخبر الفعلي. اما المبحث الرابع فخصصته للوظيفة الثقافية التي تظهر في نوعي الخبر السابقين اي الكلامي والفعلي وعلى امتداد كتاب بلاغات النساء.

## المدخل:

### الخبر ومكانته في التراث السردي العربي وكتاب بلاغات النساء:

### الخبر لغة:

((النبأ، ويجمع على أخبار، والخبر: مخبرة الإنسان إذا خبر أي حدث فبدت أخباره، أي أخلاقه. والخبر هو النبأ، والجمع أخبار وأخابر جمع الجمع. ويقال تخبرت الخبر واستخبرته، وتخبرت الجواب واستخبرته. والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر))[1]. ((والخبر معروف وهو ما آتاك من نبأ عمن تستخبر وتقول العرب: هل من جائبه الخبر؟ أي هل من خبر يجوب البلاد فيجئ من مكان بعيد))[2] ((والخبر في اللغة ما ينقل أو يحدث به قولا أو كتابة يتحمل الصدق والكذب لذاته))[3]. والإخبار كالإنباء يرمي إلى معرفة الحقيقة، وفيها معنى القص، ففي قولنا: أخبرني أحدهم أن الأمطار منهمرة بغزارة في بلد ما، وعلى الرغم من بساطة تركيبه، فإن هناك حكاية ما، او حديثا ما، او خبرا ما، وراء تبني المخبر الذي أخبر للخبر/ الحدث. لذلك يجب أن يكون الخبر موجها للإنسان في حياته أكثر من تحريك مخيلته وحسه الجمالي. وتبعا لذلك ((فإن أخص خواص الخبر هو تأكيده على نقل الواقعة الإخبارية نقلا متتابعا دون إجراء أي اعترافات تخلخل بنية متنها. فالرهان هنا للنقل الأمين والتمثيل الواقعي))[4] أما تعريف الخبر اصطلاحا فإن (سعيد يقطين) يرى أن الخبر هو الشكل الجامع لأنواع متعددة مثل (الخبر، الحكاية، القصة، السيرة) والعلاقة بين هذه الأنواع تحكم مبدأ التراكم على مستوى الأحداث والشخصيات. ((فإذا كان الخبر اصغر وحده حكائيه، فإن الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة،والقصة تراكم لمجموعة من الكتابات، والسيرة تراكم مجموعة من القصص))[5]. ويرى سعيد يقطين أن الخبر والحكاية يرتكزان على الحدث في حين ترتكز القصة والسيرة على الشخصية،وإن هذه الأنواع متكاملة فيما بينها، موجودة أبدا، ولكنها قابلة للتحول والتجدد والتوالد

بمعنى أنها منفتحة وليست مغلقة وثباتها ثبات نسبي ((فالأخبار تنتزع إلى (ابتلاع) ما يحوم حولها من شعر وأمثال ونقد ومناظرات وصور بلاغية وغيرها. وتمثلها باكتسابها الخصيصة السردية التي تندرج بواسطتها في مجال الأخبار))[6] وللخبر في التراث السردي العربي مكانة مهمة، بوصفه وسيطا معرفيا بين الماضي والحاضر، مختزلا موروث العرب الثقافي وتجاربهم ((فالأخبار هي المادة الرئيسة والركيزة الأساسية للرواية العربية))[7] وقد تطورت الأخبار لتصبح الحامل المركزي للثقافة العربية، فشكلت الأخبار التاريخية بوظيفتها التوثيقية ((فهي ليست جزءا من الادب بل تحوم حوله ولا تندرج فيه))[8] والاخبار((وحدات سردية ذات قدرة على التنقل من موقع إلى آخر وهي في تنقلها ذاك تحافظ على استقلالها من جهة، ومن جهة أخرى تنشأ بينها وبين أخبار أخرى علاقات جديدة))[9] لقد كانت الأخبار هي المدخلات التي غذت نظام إعادة تكييف النصوص الجاهلية ودورها في حركة التراث من الماضي إلى الحاضر بوصفه عنصرا مهما وخطابا في منظومة الرواية بشكلها القصصي. ((وقداستطاعت تنميط الأسس المعرفية للثقافة الإسلامية خلال عملية إعادة توجيه (تكييف) التراث من الجاهلي إلى الإسلامي))[10]. من دون ان تغفل السياقات الجديدة التي تتحرك فيها الاخبار وما يصاحب ذلك من تغيير في اهمية الخبر ووظائفه الثقافية والتعليمية والادبية كما سنرى في متابعة اخبار النساء في كتاب بلاغات النساءوتعرض سعيد جبار الى استكناه الملامح التي ينفرد بها الخبر عن غيره من الأجناس النثرية الموازية له في التراث العربي القديم عند تحليله للبنية الحكائية للنص الخبري لينتهي إلى استنتاج مفاده ((ان الخبر على عكس الأنواع السردية الأخرى ينمو أفقيا... وتتمثل بساطة الخبر في الانتقال السريع بين الوظائف التي تربط البداية بالنهاية في مساحة خطابية لا تتجاوز أحيانا السطرين أو الثلاثة... وبالتالي فبساطة النوع تعكس على الثوابت الحكائية التي تدعم هذه البساطة وتؤكدها))[11].لقد وضح المؤلف بساطة الخبر في الشكل ووحدة الزمن والحدث، وتفرد الفضاء، أو غيابه في الكثير منها، وندرة الشخصيات وقلتها، وهيمنة الخطاب المسرودوبذلك ميز بين الخبر بوصفه نوعا بسيطا وبين الحكاية بوصفها نوعا مركبا، وبهذا فإن المؤلف يلغي

أويغض الطرف عن التدقيق في تميز الخبر عن أنواع أخرى مثل الحديث واسناده، والقصة، والسمو، والخرافة. وقد أخذت أخبار النساء في السردية العربية القديمة، أذ كانت تحظى بالنقل والتدوين. وهي تمتلك رصيدا من الدلالات التي ترتقي لتكون وحدات دالة على مجموعة من الرسائل التي يريد المخبر أن يوصلها. وفي كتاب بلاغات النساء لابن طيفور*[12]. كان الخبر وسيلة لتشخيص الحدث وإدراجه ضمن مستوى الكلام أو الفعل. لقد صنف كتاب (بلاغات النساء) في القرن الثالث الهجري ويكاد يكون فريدا في موضوعه وهو وإن لم يكن أقدم الكتب التي تناولت المرأة وأدبها وبلاغتها، فهو من أوائل الكتب التي صنفت وعنيت بجانب بلاغة المرأة في القول والفعل والتفكير في محاولة لتقليص المسافة بينها وبين الرجل في هذا المضمار وهي مسافة يبدوانها كانت واضحة في ذلك العصر الى درجة تحتاج معها الى تصنيف كتاب فيها وتكمن أهمية الكتاب في موضوعه،فهو يعد مصدرا مهما من مصادر دراسة أدب المرأة وبلاغتها في الجاهلية وصدر الإسلام، فمصنفه أورد مجموعة لايستهان بها من أخبار النساء ألقى الضوء من خلالها على بعض نشطاتهن الفكرية والأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام. فتحدث عن بعض نوادر النساء وطرائق كلامهن، وأخبار ذوات الرأي منهن، كما ذكر شيئا من أشعارهن وخطبهن.قدم الكتاب خلاصة منتخبة من صميم البلاغة العربية المروية عن النساء، يشرف الناظر فيه على معارف مفيدة في اكتناه الكثير من الأحوال الاجتماعية والثقافية عن المرأة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام. كما يتصف الكتاب بكونه أول مصنف جامع وصل إلينا مخصصا لأقوال النساء وأشعارهن ونوادرهن ((كما يظهر من غزارة مادته نشاط المرأة الإبداعي والبلاغي، ما يعكس صورة من حياة المرأة بصورة عامة))[13] ولعل القارئ للعنوان (بلاغات النساء) سيعتقد أنه سيكون كتابا خالصا للموضوعات الجادة، فالبلاغة ترتبط في أذهان الغالبية منا بكونها تتصل بالنواحي الجادة في الحياة. لكن المطلع على الكتاب يجد أنه ليس خالصا للموضوعات الجادة، فهو يتناول قسما غير قليل من الأخبار والأقوال الهزلية التي يغلب عليها المجون كتخصيصه فصل بعنوان (مواجن النساء)[14]. ولا يعد هذا المزج مزدوجا على طبيعة التأليف التي

شاعت في ذلك العصر في الأدب من تناول الموضوعات الجادة إلى جانب الموضوعات الهزلية. وهذا الأمر يحدث في الشعر كما يحدث في النثر. ويشهد كتاب البيان والتبيين للجاحظ أنموذجا واضحا للمزج في الكتاب الواحد بين الموضوعات الجدية والهزلية المتنوعة وكذلك كتاب الحيوان للجاحظ.أما ابن طيفور فيظهر من مقدمة كتابه أنه قصد قصدا أن يفرد قسما خاصا من كتابه الكبير ((المنثور والمنظوم)) ليضم أنواعا مختلفة مما انتهى إليه من نصوص النساء في الشعر والنثر، وإن يضم إلى هذا أخبار ذوات الرأي منهن، وكذلك جانبا من الملح والطرائف المتصلة بهن.ويكشف الكتاب عن قدرة بلاغية مميزة للمرأة تمثلت في المجادلة فيورد حوارات جديدة مثلت طرفا أساسيا في الحوار، وكان لها الغلبة في أغلب المواقف. وكثيرا ما كان الرجل يعلق عليها معترفا ببلاغتها وقوة حجتها. لذا كانت الغلبة دائما للصوت الذي يمتلك بلاغة الخطط مع حجج محملة بدلالات دينية أو ثقافية أو اجتماعية تصل بالخطاب إلى أعلى درجات الحسم. فهذه امرأة أبي الأسود الدؤلي قد لجأت إلى الخليفة مبينة له حالة الظلم الذي وقع عليها بقولها ((ألجأني إليك أمر ضاق فيه المنهج، وتفاقم علي فيه المخرج، لأمر كرهت عاره، لما خشيت إظهاره فلينصفني أمير المؤمنين))[15]. لقد دفع الظلم المرأة في هذا الخبر إلى أن تصل إلى أعلى سلطة مستعينة ببلاغة اللغة وبلاغة الحجة كونها تجادل بالعقل والعاطفة. ويورد ابن طيفور ((خطب لنساء معروفات ذوات نسب عال)) وكان لهن دور في شد حزم المقاتلين في الحروب والغزوات يخطبن بخطبهن الرنانة، وألفاظهن الفخمة المجلجلة. لذا فإن كلمة (بلاغات) بدل من صيغة بلاغة كان القصد منها هو تعدد الأنماط البلاغية في الكتاب من الشعر إلى النثر، من الجد إلى الهزل. ومن الخطب التي تحمل طابعا سياسيا، والأجوبة الموجزة إلى الملح والنوادر والطرائف، وإن ابن طيفور أورد بلاغات لتعدد النساء اللاتي يحمل الكتاب كلامهن وأخبارهن والكتاب يغلب عليه الخبر ولكن يمكن ان يميز البحث بين نوعين من الخبر هما الخبر الكلامي والخبر الفعلي ولكل منهما خصائصه الصوغية ووظائفه كما سيتضح في المباحث الآتية.

## المبحث الأول: الوظيفة السياسية:

تظهر هذه الوظيفة في الخبر الكلامي، والخبر الكلامي هو خبر يغلب عليه الطول حيث يتوقف الحدث، ليعطي الكلام مساحة واسعة، أو مساحة أكبر على متن الخبر. وهذا ما نجده في سياق الخطبة، إذ تظهر((الشخصية الأساسية التي ينسب إليها الخبر الكلامي وتتحدث أمام مسامع الناس وهذا يعني أن السامعين لا يشاركون الشخصية في الحديث ولا يتبادلون معها الرأي))[16]، ليقروا للشخصية بالغلبة والبلاغة. كما في أخبار عائشة وفاطمة عليها السلام.ويقع الخبر في سياق الكلام الاعتيادي الذي لا يشترك فيه مع الشخصية الأساسية طرف آخر في سياق الحوار الذي يدور حول موضوع محدود وقد يدور ((الكلام الاعتيادي في طلب حاجة إذ تدخل الشخصية الأساسية مكانا ما وتتفوه على مسامع الشخصيات بكلام بليغ لتسألهم إعانتها بالمال لسد جوعها))[17]. فالأخبار الكلامية أساسية وتمتاز بصفة البلاغة من سلامة اللفظ واستعمال التركيب وكذلك المحسنات اللفظية ليخرج الخبر الكلامي بوظيفة تفهم من سياق الخبر المتداول المنقول. وتشغل الوظيفة السياسية جزءا كبيرا من كتاب (بلاغات النساء) في الموضوعات السياسية التي تدور حول مواقف الناس من الخلفاء، وحول المعارك التي كانت النساء تقف فيها مشجعة لتحفيز المقاتلين على الثبات في القتال في أثناء اشتداد المعركة. وتعمل الأخبار في هذه الوظيفة على نقل المواقف السياسية المتباينة أذ يشغل الكلام وظيفة أساسية في هذه الأخبار كما في أخبار عائشة وفاطمة عليها السلام. ففي كلام عائشة بنت أبي بكر التي ((بلغها أن أناسا نالوا من أبي بكر، فبعثت إلى أزفله منهم فعذلت وقرعت ثم قالت أبي ما أبيه لا تعطوه الأيدي والله حصن منيف، وظل مديد أنجح إذا أكديتم، وسبق إذ ونيتم، سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئا، وكهفها كهلا، يريش مملقها،

ويفك عانيها، ويرأب صدعها...))[18] ويبدأ خطاب الشخصية وكلامها الموجه إلى جماعة مقرعا ومبينا فضل أبيها وسبقه إلى موقعه من رسول الله (ص) ومن الإسلام، وأنه فتى القوم وسيدهم، وسخيهم، وأنه يصلح حال الفقير، ويعين الشيخ الكبير، أي يصلح أمورهم. ويستمر الخبر ليكون الكلام الوسيلة الكاشفة عن مشاعرها الباطنية،وهواجسها وانفعالاتها التي عبرت عنها من خلال التوبيخ والتقريع بشكل صريح. فالأفعال (بلغنا، خرجت، قالت، بعثت) لا تأخذ الأسطر واحدا من متن الخبر الذي يمتد ثلاث صفحات، لتعرض لنا الشخصية بأسلوبها البليغ ((أفكارها وانطباعاتها عرضا دون تدخل، أي وسيط في ذلك))[19] وهي تبوح وتعترف اعتمادا على الذات لتبقى الشخصية هي صاحبة السيادة في سرد الخبر.إن خطبة السيدة عائشة التي امتازت بالطول حيث توقف الحدث عندما كانت تخطب، فأعطى الكلام مساحة كبيرة على متن الخبر، ليتم من خلال الأخبار فحوى الكلام، الذي يرشدنا إلى معرفة بلاغة المتكلمة، وقدرتها الفائقة على القول. فالشخصية تجد ما يدعوها للكلام، فتصل إلى مكان ما وتخطب وبذلك ((تتفاعل هذه الشخصية مع الحدث لإلقاء خطبتها))[20]. فالخبر الكلامي يعمل على نقل المواقف السياسية ويحدد أبعادها، فلماذا تحدثت السيدة عائشة؟ تحدثت لأن أناسا نالوا من أبيها وشتموه، وبالمنطق والعقل يتحول السب والشتم إلى محرك للحدث، فخرجت أم المؤمنين وهي تخطب ((... وقيد الجوانح شجي النشيج فأنصفت عليه نسوان أهل مكة وولدانها يسخرون منه، ويستهزؤن به والله سيستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون....اختار النبي (ص) ماعنده، فلما قبض رسول الله(ص) ضرب الشيطان بدوارقه وشد طنبه، ونصب حبائله، وأجلب بخيله ورجله، وألقى بركبه، فاضطرب حبل الدين والإسلام، ومرج عهده، وماج عهده وعاد مبرمه...))[21] ويلاحظ في هذه الخطبة أن الشخصية الأساسية التي ينسب المؤلف إليها الخبر الكلامي تلقيها على مسمع من الشخصيات وهي موجهة خطابها إلى مجموعة من الأشخاص بحيث عد

الخطاب هو((التعبيرعن تلك الأحداث.)) [22] التي مرت بها الشخصية الأساسية، وجعلتها تلقي الخطبة على مسامعهم، أذ يسعى الراوي إلى إظهار الإيحاء بحركة العقل المتدفقة بكل ما تشتمل عليه هذه الأخبار من تداع، وتركيز على الحدث والقول.ونجد في خبر آخر أن الشخصية الساردة لهذا الخبر هي فاطمة (ع) بنت رسول الله (ص) التي تجد فيما يدعوها إلى الكلام، فتصل إلى مكان ما وتخطب كما في هذا الخبر ((لما أجمع أبو بكر(رض)على منع فاطمة بنت رسول الله (ص) فدك وبلغ ذلك فاطمة عليها السلام لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله(ص) شيئا حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاءة وأنت أنة أجهشت القوم بالبكاء... فافتتحت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص)... فقالت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص بالمؤمنين رؤوف رحيم... تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله (ص) بعد اللتيا والتي وبعد ما منى بهم الرجال كلما حشوا نارا للحرب أطفأها ونجم قرن... هذا كتاب الله بين أظهركم وزواجره بينة، وشواهده لائمة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين....)) [23] نلاحظ أن الخطبة تقوم على حدث مركزي هو منع فاطمة الزهراء (ع) فدكا وبعد مقدمة من راوي الخبر يصف فيها ظروف الخطبة والوقفة التي وقفتها السيدة فاطمة يترك الحديث لها لتذكر بالتفصيل مناقب أبيها وفضائله معبرة بصدق فيما تريد أن تخبره، وتدافع عن حقها. وتذكر المسلمين بما كانوا عليه قبل ظهور أبيها من عبادة الأصنام والانحراف عن الحق والضلالة،وتذكرهم بنصرة الله لهم على المشركين. وكيف أصبحوا عليه الآن بعد وفاة النبي (ص) من الابتعاد عن الحق فتقول ((... العهد قريب والكلم رحيب والجرح لم يندمل... وأنتم تزعمون الآن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله

حكما))[24] وتعد الشخصية الكلامية الساردة للخبر الكلامي المهيمنة على السرد ومصدرا للمعلومات التي كانت تستقى من القرآن الكريم وأحاديث النبي (ص). ولذا الوظيفةالإبلاغية التي تتضمن ابلاغ المستمعين معلومات تتصل بالنبي (ص) وبالوضع الجديد بعده وبالتغيرات الحاصلة التي تؤشر إلى انحراف عن النهج الصحيح الذي اختطه النبي والتي قد يكونون غافلين الامر الذي يجعل الخبر يؤدي وظائف سياسية في مستوى ابعد من مستوى الابلاغ السابق. وبما أن الخبر يعنى بالكلام الذي تقوله الشخصية، فالحدث ثانوي يأتي ممهدا لتوصيل رسالة للجمهور دينية في ظاهرها سياسية في جوهرها،وبأساليب تعبير فائقة، كالخطابة.

## المبحث الثاني: الوظيفة التعليمية:

تأتي هذه الوظيفة في سياق الكلام الاعتيادي للشخصية داخل الخبر بما يتضمنه ذلك الكلام من حكمة وقدرة لغوية متميزة اي صياغة الخبر وحبكه بصورة موحدة. تتضمن هذه الوظيفة نشر القيم الحسنة والحث عليها وتعليم اللغة، وغالبا ما لا تنفصل احدى الغايتين عن الاخرى كما في وصية الأم إلى ابنها او حديث النساء عن الزوج والزواج او في اخبار سؤال المرأة حاجتها. اذ في جميع الاخبار ذات الوظيفة التعليمية يأتي الخبر بلغة تلتزم السلامة النحوية والصوغية مع ايراد الكلمات الغريبة او الفصيحة فضلا عن اعتماد الموازنة والايقاع والسجع اي تنويع موارد الخطبة وايراد الخبر. وتنقسم الوظيفة التعليمية كما اشرنا إلى قسمين نوضحهما كالاتي:

### 1 ـ تعليم القيم الحسنة والحث عليها:

إن تعليم القيم الحسنة والحث عليها من غير تفخيم أو تمثيل يظهر الحدث على حقيقته وواقعيته. ويتجلى ذلك الحدث إما بسؤال أو طلب حاجة أو

وصية. وتعد هذه القيم ((أخص خواص الخبر تأكيدا على نقل الواقعة الاخبارية نقلا متتابعا، دون اجراء أي انحراف يخلخل بنية متنها))[25]، مثلما نقل في خبر لامرأة من هوازن جاءت بكلام اعتيادي لطلب حاجة إذ تدخل الشخصية الأساسية مكانا وتتفوه على مسمع شخصيات بكلام بليغ، فتسألهم إعانتها بالمال وسد جوعها.فقد ((وقفت امرأة من أعراب هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر فقالت: أصلحك الله أقبلت من أرض شاسعة، ترفعني رافعة، وتخفضني خافضة بملحات من البلاد. وملمات من الدهور برين عظمي. وتركنني والها وقد ضاق بي البلد العريض لاعشيرة تحميني ولا حميم يكنفني، فسألت في أحياء العرب من المرجو سيبة المأمون غيبه المكفي سائلة الكريمة شمائله،المأمول نائلة فأرشدت اليك وأنا امرأة من هوازن مات الوفد وغاب الرفد ومثلك من سد الخلة فك الغلة فاصنع إحدى ثلاثة: إما أن تقيم من أودي أو تحسن صفدي أو تردني إلى بلادي، قال: بل أجمعهن لك وحبا.))[26] لقد أعطت هذه المرأة صورة للواقع الذي تعيشه فهي تسأل وتطلب حاجة من شخص ذي سلطة ونفوذ في البلاد فتسألهم إعانتها بالمال وسد جوعها ليأتي الخبر الكلامي هنا في سياق الكلام الاعتيادي. فهي أي الشخصية الساردة القت كلامها على مسامع الشخصيات. وهم لا يشاركون الشخصية في الحديث فهم يصمتون ليقروا بعد ذلك للشخصية الأساسية بالغلبة والبلاغة في خبرها هذا، أذ يتوقف الحدث هنا ويعطي الكلام مساحة أكبر على متن الخبر تتجاوز عشرة ألاسطر تقريبا. وهذا الأمر يوضح أن الخبر الكلامي هو((وليد السياق نفسه.))[27] وتأتي الوظيفة التعليمية ضمن الحدث على القيم المجردة كالوصية إذ توصي امرأة ابنا لها أراد سفرا في أحد الأخبار المنقولة ((فقالت: أي بني أوصيك بتقوى الله، فإن قليله أجرى عليك من كثير عقلك وإياك والنمائم فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين،ومثل لنفسك مثال ما تتحسس لغيرك ثم اتخذه إماما،وما تستقبحه من غيرك فاجتنب.. وإياك بالبخل بمالك والجود بدينك..))[28] فجاء الكلام هنا في سياق الحوار الذي

يدور حول موضوع وصية ليتشكل الخبر فيها من الكلام أو القول الذي نطقت به الشخصية الساردة، واستغرق مساحة كبيرة من متن الخبر. وهي توصي ابنها بتجنب النمائم في الطريق لأنها تفرق بين المحبين وتنصحه بعدم البخل في أثناء السفر، وعدم التعرض لعيوب الآخرين. إن هذه الأخبار المنقولة توضح بلاغة المرأة والقدرة على استعمال واختيار الألفاظ في مواضع ملائمة بعيدة عن مقاصدها القريبة والبعيدة.

### 2 ـ تعليم الغريب (غريب اللغة):

وهو ثاني غايات الوظيفة التعليمية في اخبار بلاغات النساء. ويأتي من اتصال قسم من متون الأخبار بمجالس العلم وما تتطلبه من غرض تعليم الطلاب الغريب من الألفاظ أو المعاني الذي اصبح يندر استعماله. وهذا الغرض ينعكس في صوغ الخبر الذي ينحو الى غريب اللفظ ووحشيه اي المتوحش من الالفاظ والنادر استعمالها، مع الابقاء على ما يجمع الخبر هنا بأخبار كتاب بلاغات النساء وهو اتصال موضوعه بالمرأة وما تقوله او تفكر فيه او تفعله. كما في هذا الخبر الذي توصي فيه امرأة ابنتها فتقول لها: ((لا تنكحي شيخا أذا بال ضرط املئي تحت حصية شمط رخو الدلاة عاجزا إذا افترط، والتمسي أمردا يستاف الغلط، لو زاحمت ركن جوار إذ أراها الأمر البرك ضرط أو صادفت جارية ذات نقط.))[29].

## المبحث الثالث: الوظيفة الامتاعية:

وتعني امتاع القارئ وتسليته وتظهر في الخبر الفعلي والخبر الفعلي هو الخبر الذي يعتمد في صوغه وادائه على الأفعال التي تقوم بها شخصية أو أكثر ((ويستولي الفعل معها على مساحة أكبر من مساحة الكلام، ليكون الإخبار عن طريق الحدث الذي يظهر بلاغة النساء وقدرتهن على الفعل))[30]

إن الكلام في هذه الأخبار ثانوي لايحتل مساحة كبيرة من الخبر (أي داخل متن الخبر) قياسا بالحدث. وهو اي الكلام في هذه الأخبار لايتعدى الحوار العادي المتبادل بين شخصيتين إذ يأتي في سياق الحوار الذي تشارك فيه أكثر من شخصية، تتبادل الرأي فيه أو تتحاور في أمر من الأمور. اما نوع الحدث او موضوعه فهو مما يصنف((في خانة الهزل،أو النادرة أو السخف))[31] الذي لا يخلو من دلالات تتصل بوضع المرأة في الثقافة. والوظيفة الإمتاعية وهي إمتاع المتلقي عبر إبلاغه بالخبر. يظهر ذلك في اغلب الاخبار الفعلية ومنها خبر (يزيد المقرط) حينما ((واعد الذلفاء أن يصير إليها في سواد الليل، فلما تأكدت من حضوره أخفته عندها. ثم صاحت منكرة، فوثب أبوها وأخوها فقالا: مالك؟ قالت: شيء ضربني في يدي. فأقبلوا يعوذونها، ويرقونها وهي تصيح. وشيخ من ناحية الماء يسمع فلما طال ذلك بها أتاها الشيخ فرقاها في الماء. ثم قال:لهم: اسقوها إياه فشربت. فلم تهدأ أنتها، فقال: لقد رقيتها برقية العقرب، ولا أظن الذي ضربها إلا عقربان فافترقوا عنها وقال لها أخوها: اصبري يا أخيتي صبرك الله. فلما تفرقوا أخرجت زيد من مكانه.. قال ما هذه الآنه (أي الأنات)؟ قالوا: الذلفاء ضربها شيء في الليلة. فلم تنم. فقال: جيئوني بماء فأتوه، فتفل فيه ورقاه، ثم اسقوها فلما شربته سكنت أناتها...قال: ويحك إني أشتهي أن أنظر إلى محاسنك وبدنك. فقالت: فكيف لك ذلك؟ قال تخرجين فتكونين وراء الخباء، فإذا برقت بارقة دفعت ثوبك فنظرت إليك في ضوء البرق. قالت: ذاك لك. فخرجت الذلفاء وكلما برقت بارقة رفعت ثوبها فنظر إليها وصاح أبوها: كيف ترى قبلها؟ قال: أراه قبلا حسنا يعد خيرا. قال: فمقبل علينا أم عليك؟ قال: بل علي دونكم)).[32] يقدم الخبر المكون من أفعال متلاحقة تشكل متن الخبر، ليتراجع الكلام بالمرتبة الثانية فهو يظهر على شكل حوار يدور بين شخصيات الخبر، ليبين أمر هذه الذلفاء ورغبتها في (يزيد المقرط). وتحقق هذه الاخبار غايات امتاعية لأن المتلقي ينجذب إلى الأخبار التي تبين ضعف المرأة، وكذلك الى الأخبارالتي فيها تصوير لعالم المرأة

ورغباتها.وتتحقق غاية الخبر الامتاعية احيانا من رواية الواقعة التي تقع للمرأة الموصوفة بالمجون على لسانها وبعبارات صريحة كما في خبر حبى المدنية المعروفة بهذا النوع من الحديث. فهي في أحد الأخبار تحدث فتيات قريش عن قتلها نفسا، ولما سألنها:كيف؟ قالت: ((خرجت يوما من الحمام فجلست في المسلخ أتوضأ ومعي ابن لابنة لي، ومعه جرو له فآتاني فدخل تحتي فلما رأى شفري وحر... لطعه بلسانه فاستلذذته فزاد فلم أزل أدنو منه حتى أدركني ما يدرك بنات أدم. فخررت عليه، فما رفعت عنه إلا وهو ميت))[33].

## المبحث الرابع: الوظيفة الثقافية:

وتوجد الوظيفة الثقافية في أخبار بلاغات النساء بعامة (أي الأخبار الكلامية والفعلية) ففي تلك الأخبار واخبار الكتاب كلها جانب ثقافي يتمثل في رغبة المؤلف في ان يقدم صورة للمرأة تغاير الصورة النمطية السائدة عنها، أو تطابقها.وفي الحالة الأولى المغايرة يريد ان يقول من خلال الاخبار الكلامية او الفعلية التي تنطوي على حسن تدبير المرأة إن المرأة لا تختلف عن الرجل في البلاغة والعقل اما في الحالة الثانية اي المطابقة فانه يقدم صورة تطابق الموجودة لها في الثقافة من انها شهوانية وماجنة وهي تغلب في افعالها الشهوة على العقل وهذه الصورة الثانية قليلة في كتابات بلاغات النساء وتأتي في سياق السخف والهزل.واما الصورة الاولى وهي الغالبة فتظهر في الاخبار الكلامية وفي قسم كبير من الاخبار الفعلية كما في خبر عن هشام بن عبد الملك فيه انه عندما قدم اليه مال من فضل ضياع المال، فقسمه في أهله وولده. وبقيت عشرون ومائة ألف، فدعا امرأتيه ((عبيدة بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص وعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية. فبدأ بأم حكيم، فقال: من أحق الناس بهذا المال؟ قالت: أن ذلك لغير زوجتك وبنت عمك. قال: قد أخذت حقها...فأقبل إلى أم عبده فقال:هات ما عندك يا آل أبي سفيان، تدعون فضيلة في الرأي. قالت:

ما أبين ذاك أحقهم به من جاد لك بما بخلت به على نفسك. قال: صدقت فبعث المال إلى الأبرش.))[34] لقد أظهر المشهد الحواري بين هشام بن عبد الملك وزوجتيه (أم حكيم وأم عبده) حكمة وصواب رأي أم عبده التي أخبرتنا برأيها ومشورتها في أن المال يرد إلى الأبرش الذي اشترى لهشام جارية وبعثها إليه. في حين إن رأي أم حكيم كان غيرصائب لأنها أقرت بالمال لها ولولدها. والخبر عبارة عن حوار بين شخصيات الخبر، هشام بن عبد الملك، والأبرش الكلبي الذي أعجبته الجارية، واشتراها من هشام،وبين مولى الجارية، الذي باع الجارية لهشام بن عبد الملك. فتبين في نهاية الخبر، صواب رأي زوجة هشام عندما جعلته يرد (عشرون ومائة ألف) إلى الأبرش. فكان رأيها متمما للخبر في جملة واحدة ((ذاك أحقهم به من جاد لك بما بخلت به على نفسك.)) وفي ذلك تأكيد بلاغة القول والفعل الصادر عن هذه المرأة، وحسن مشورتها.

ويظهر في خبر آخر أنها اي المرأة صاحبة رأي ومشورة، ويؤكد ذلك أنه ((لما كبر أبناء عبد الملك من عاتكة بنت يزيد بن معاوية، قال لهاعبد الملك: إن ابنيك قد بلغا فلو أشهدت لهما بميراثك من أبيك كانت لها فضيلة على سائر إخوتها. فقالت: اجمع لي شهودا من موالي ومواليك. قال فجمعهم وأدخل روح بن زنباع الجذامي..فقالت: يا روح أتراني أخشى على ابني العيلة، وهما ابنا أمير المؤمنين، أشهدتك أني تصدقت بما لي على فقراء آل بني سفيان في الديوان... قال: يا أمير المؤمنين إني تركت معاوية بن أبي سفيان في الديوان جالسا يقصد عاتكة كجدها معاوية في الدهاء))[35]. لقد مهد الخبر الفعلي بتسلسل متتابع للأحداث، تبدأ منذ أن طلب عبد الملك بن عاتكة أن تجعل نصيبا لأبنائها من إرثها. ممهدة بحدث على وفق حوار يسبقه ليستقر الخبر الفعلي برفض عاتكة. فقالت أنها وزعت ميراثها لفقراء بني سفيان حتى وصل تأزم القول إلى هذه المرحلة من رفضها لكلام عبد الملك، لينقل الحديث إلى روح بن زنباع، الذي أرشد عبد الملك للكف من ذلك، لأنها كانت متيقظة

وعارفة بمضامين الفعل أو القول.إن هذا الحوار الذي دار بين عبد الملك وعاتكة يظهر بلاغة للمتكلمة وذكائها، وتفردها بالتصرف من دون قبول اي تاثير عليها من الرجل ومن دون ضغط من اية عاطفة عليها بما في ذلك عاطفة الامومة.وفي المقابل لا يغفل الكتاب الأخبار الفعلية في إعادة إنتاج جانب من الصورة النمطية السائدة في المجتمع والثقافة عن المرأة في ضعفها، وتغليبها لشهوتها كما في خبر يذكر رجلين تراهنا، زعم أحدهما أن جاريته أمينة وعفيفة. وزعم الآخر أنه سيظهر له من أمرها خلاف ما يدعيه. ((فلما أصبحوا خرجت في غنمها مبكرة وليس طريقها إلا في واد. إذا هي أمضت منه وقعت في مكان واسع. فجاء الرجل أسفل الوادي. وحفر لنفسه مثل القبر، ثم سفا عليه التراب حتى توارى كله غير(أيـ...) قال: فمرت في غنمها فنظرت إليه، فقالت: ما أدري أي شيء هذا أطرثوث فلا عفاه له أذنون لا رمثه له.... فوضعت الخرجين ثم أكبت على(الايـ....) تحفره حتى خرج أصله ثم جاست عليه تهزه وتقول: أي الله يرعاك ويرعى راعيك، ومولاها والناس الذين معه يرونها ويسمعون كل شيء تتكلم به))[36]. ويبدو ان هذا التطابق في الأخبار الفعلية مع الصورة النمطية عن المرأة، قد جاء لغايات التسلية والإمتاع من جهة، ومن جهة ثانية فإن محاولة للاقتراب من المرأة الواقعية التي لا تخلو من الصفات الحسنة والسيئة، فهي إنسان في النهاية شأنها شأن الرجل. فلا يصح أن تكون فاشلة مطلقا، ولا ناقصة مطلقا ولكن فيها من الحسن وفيها من القبح. وما نقلته الثقافة التقليدية هو أنها ألصقت بها صفات رديئة كليا كالعي وضعف الرأي والشهوة. وما يفعله كتاب بلاغات النساء هو أنه يقربها إلى الواقع فيورد من خلال الأخبار صفاتها الحسنة والرديئة. ويدرج بلاغة منطقها بامتلاكها أقوال طامحة إلى الإجادة والكمال بصياغة فنية، ومقومات أسلوبية أكسبتها ألوانا من التعبير، سواء كانت الأخبار المنقولة لنا كلامية في أثناء ألقائها الخطب أم في أثناء محاوراتها شخصيات أخرى.

## الخاتمة:

ناقش البحث وظائف الخبر في كتاب بلاغات النساء ولكن من خلال تصنيف اخبار الكتاب الى نوعين الخبر الكلامي والخبر الفعلي، والكلامي يعتمد على كلام الشخصية البليغ وياتي على شكل خطبة او وصيه او طلب وينطوي على وظيفتين هما، السياسية والتعليمية.اما الخبر الفعلي فيقوم على الأحداث او الا فعال التي تقوم بها الشخصية وهي امراة تتسم بالمجون او الظراف وتتحقق من خلال هذا النوع من الخبر الوظيفة الامتاعية للقارئ. تبقى اخيرا الوظيفة الثقافية وتتصل بنوعي الخبر السابقين اذ تقدم من خلال اخبار الكتاب صورة للمرأة قريبة من صورتها الانسانيه بعيدة عن التنميط الشائع عادة في كتب الادب التي تحتفي بالأخبار التي تنطوي على جانب من المرأة وتغفل اخر.

## الهوامش:

1- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق محمد عبد الوهاب وصادق العبيدي، دار التراث العربي، بيروت: مادة (خبر)،ط1/ ج4/ 1999 م: 12. (2) السابق، 12.

3- معجم الوسيط، سليمان بن احمد الطبراني، مصر، ج2/ 1961: 215.

4- ينظر الكلام والخبر" مقدمة للسرد العربي "، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي بيروت،ط1/ 1997: 54. (5) المصدر السابق/195

6- ينظر" الخبر في الادب العربي "،محمد القاضي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1 /1998: 406.

7- ينظر "السرد العربي القديم الانواع والوظائف والبنيات "، ابراهيم صحراوي،دار العربية للعلوم،الجزائر،ط1/ 2008: 53. (8) الخبر في الادب العربي (مذكور): 109.

9- "موسوعة السرد العربي"،عبد الله ابراهيم،المؤسسه العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج1/2008: 35 (10) المصدر السابق/63

11- ينظر الخبر في السرد العربي "الثوابت والمتغيرات"، سعيد جبار،دار البيضاء، المغرب، ط1/2004: 218.

12- ابن طيفور، احد المؤرخين البلغاء والشعراء الرواة، هو ابو الفضل احمد بن طيفور

الخرساني الاصل ولد في بغداد، وقت دخول المامون، تلقى العلم والرواية عن ائمة عصره، اهم كتبة، تاريخ بغداد، والمنثور والمنظوم، والذي ضم بلاغات النساء، المكتبة الشاملة، ولد سنة 204 هـ،توفى 280هـ.

13- ينظر البنية السردية للخبر في كتاب "بلاغات النساء"، دكتور عقيل عبد الحسين، مجلة المورد،مجلد 41،العدد الثالث/ 2014: 134.

14ـ ينظر "بلاغات النساء دراسة نقدية"،رسالة ماجستير،مسعودي سعاد، الجزائر، 2012/2/2: 41

15ـ ينظر "بلاغات النساء" عنوان الكتاب، موضوع البحث، بلاغات النساء، تأليف الامام ابي الفضل احمد بن طيفور،قم،ط2/ 1378 هـ: 73.

16ـ المصدر السابق، 71، (ألجاني) اي اضطرني.

17ـ البنيه السردية (مذكور)، 118. (18) المصدر السابق/119

19ـ بلاغات النساء (مذكور)، 7، (ازفله) اي جماعه، (انجح) ايسر، (يريش مملق) يصلح الحال، (صدعها) الشق في شي صلب.

20ـ ينظرالسرد في مقامات الهمذاني، ايمن بكر، مصر،ط2/ 1998،123.

21- المصدر السابق، 123.

22- "بلاغات النساء"، 8- 9 ، (النشيج) الغص بالبكاء، (فان صفقت) اجتمعت اليه، (الرواق) مقدم البيت، (ومرج عهده وماج) اختلطت، (مبرمه) محكمه.

23- المصدر السابق/ 23

24- المصدر السابق، 25، (الكلم) الجرح الواسع، (يندمل) يلتئم.

25- المصدر السابق، 25.

26- موسوعة السرد العربي (مذكور)، 24.

27- بلاغات النساء، 63، (برين) الحزن والذهول، (يكنفني) يحميني، (نائله) عطاءه، (فك الغلة) الحاجة والفقر والغلة حرارة العطش. (وحبا) حباً في برك.

28- موسوعة السرد العربي، 34.

29- بلاغات النساء،78، (نفسك غرضا) اي هدفا يرمى فيه، (وخليق ان لا يلبث) جدير ان لا يبطأ.

30- بلاغات النساء، 165، (عاجز اذا افترق) تقدم، (يستأنف الغلط) اي يصبر عليه، (النقط) الخطوط.

31- النقد التطبيقي والتحليلي مقدمة لدراسة الادب وعناصره في ضوء المناهج النقدية الحديثة د،خالد عدنان عبد الله، دار الشؤون، بغداد/ 1986، 86.

32- البنية السردية للخبر، د- عقيل عبد الحسين (مذكور)، 171.
33- بلاغات النساء، 212. (34) المصدر السابق/179×العينة (الفقر)
35- المصدر السابق، 182 – 183، (ماابين) ما اظهر.
36- المصدر السابق، 179 – 180.
37- المصدر السابق، 231، (طرثوث) ثمر، (العضاة) الشجرة، (الرمثة) شجر يشبه العضاة.

## المصادر:


1ـ بلاغات النساء، ابن طيفور أبي الفضل أحمد بن طاهر، منشورات المكتبة الحيدرية (ألنجف الأشرف) ط2/ قم، إيران، 1378هـ.
2ـ "بلاغات النساء دراسة نقدية"، مسعودي سعاد، رسالة ماجستير(جامعة مولود محمدي/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية في تيزي وزو، الجزائر/ 2012 م
3ـ "البنية السردية للخبر في كتاب بلاغات النساء"، د. عقيل عبد الحسين. مجلة المورد العدد 34 مج41/ 2014م.
4ـ "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، المغرب ط3/ 2000 م.
5ـ "الخبر في الأدب العربي"، محمد القاضي، دار المغرب الإسلامي، بيروت ط1/ 1998م.
6ـ "الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات"، سعيد جبار، الدار البيضاء، المغرب/ 2004م.
7ـ السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات إبراهيم صحراوي الجزائر،ط1/ 2008م
8ـ السرد في مقامات الهمذاني أيمن بكر، الهيئة المصرية للكتاب، ط2/ 1998م
9ـ "الكلام والخبر"، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1/ 2000م.
10ـ "لسان العرب"، ابن منظور، محمد بن مكرم، تحقيق محمد عبد الوهاب، صادق العبيدي، دار التراث العربي، بيروت/ 1999 م.
11ـ "معجم الوسيط" سليمان بن احمد الطبراني، مطبعة مصر، ج2/ 1961
12- مدارات نقدية، ثامر فاضل، دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط1/ 1987م.
13ـ موسوعة السرد العربي"، عبد الله إبراهيم المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1/ 2008م.
14ـ "النقد التطبيقي والتحليلي" مقدمة لدراسة الأدب وعناصره في ضوء المناهج النقدية الحديثة، د. خالد عدنان عبد.